تطور الأدب العربي

د. مؤمن العنان

الأدب مَلَكَةٌ أو بَراعةٌ في النفس، تحصلُ مع نُشوء الفَرد مع أهل اللسان ومخالطته لهم، ومَن لَم ينشأ معهم ويخالطهم فعليه بمطالعة كُتُبهم وحِفظِ نُصوصِهم، حتّى تَحصُلَ له مَلَكَة التّعبير بأساليبهم.

والأدب العربي من الفنون الجميلة السّامية، المعبرة عن مَشاعر الإنسان وأفكاره وخبراته، بأساليب رقيقة وتراكيب فصيحة. فما أبدعه الشعراء والأدباء قديمًا وحديثًا من أعمال أدبية تتميز بجمال الصياغة، وأصالة الفكرة، وروعة التصوير، ودقة التعبير، ورصانة الأسلوب، وعذوبة المعاني، وعمق الخيال، كل ذلك يُسمّى أدبًا.

شهد الأدب العربي تطورات متلاحقة، بدءًا من العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحاضر، وذكر بعض الباحثين أن مصطلح الأدب استُخدِم في نصوص العصر الجاهلي وصدر الإسلام بالمفهوم التربوي، فأطلق الفراهيدي ١٧٥هـ "حرفة الأدب" على من يتكسَّب بالتعليم ولا يُعَلِّمُ إلا من أجل المال. إلا أنّه في أواخر العصر الأموي نلاحظ استعمال كلمة الأدب بالمفهوم الأدبي والفني، حيث ظهرت كلمة الأدب في عناوين عدد من الكتب في بداية العصر العباسي، مثل كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة، وكتاب "الأدب الكبير" لابن المقفع، وسمّى الشاعر أبو تمام "باب الأدب" في ديوان الحماسة. وبالرغم من ذلك نجد أنّ القرن الثالث الهجري – العاشر الميلادي - شهد تحديدًا لمفهوم الأدب العربي بما يحتويه من فنون شعرية ونثرية، فقال المُبَرِّد ٢٥٨هـ: "هذا كتاب ألفناه يجمع ضربًا من الآداب ما بين كلام منثور، وشعر موصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة".[1]

[1] انظر: الرافعي، تاريخ آداب العرب 1/ 34.

فلا يُعَدُّ من الأدب جُملة الكلام المتداول في الأحاديث اليومية، ولا ما يدور في الرسائل العادية، ولا ما يجري في الصحف اليومية، ولا ما يكتب في المجلات والكتب العلمية، إلا أن يتأنق فيه المتكلم أو الكاتب ببراعة أسلوب ومتانة تعبير وحُسن اختيار لألفاظه.

عصور الأدب العربي

إنّ أقدم النصوص الأدبية التي وصلت إلينا لا يزيد عمرها عن ألف وستمائة سنة، وبالرغم من ذلك فإن الكثير من الدراسات تؤكِّد أنّ الأدب العربي أقدم من ذلك بكثير، وإنّما تأخّر وصولها إلينا لسببين: عدم التدوين عند العرب، ونقلهم التُراث مُشافهة.

وقد اعتاد مؤرخو الأدب العربي تقسيم العصور الأدبية حسب تصنيف المستشرقين، نظرًا لموافقته العصور السياسية للتاريخ الإسلامي. وهذه العصور الأدبية هي:

- العصر الجاهلي من ٤٧٥م إلى ٦٢٢م.
- صدر الإسلام والأموي من 622م إلى ٧٥٠ م.
- العصر العباسي من 750 إلى ١٢٥٨م.
- من سقوط بغداد 1258م إلى ١٨٠٠م.
- من عصر النهضة الحديثة من ١٨٠٠م إلى يومنا هذا.

في هذا المقرر سنقتصر على عرض التراث العربي الممتدّ من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي المؤرخ بسقوط بغداد سنة 1258م.

أولاً: الشِّعر في الأدب العربي

الشِّعرُ كَلامٌ مَنظومٌ غَلَبَ عَليهِ الوَزنُ والقافِيَة. وهو من الشُّعور، ومعناه العِلم، ومِنه قَول العرب: ياليتَ شِعري، أي: ليتني عَلِمتُ. وتَسمّى به الشّاعِر لِفِطنَتِهِ، ومنه قول عنترة:

هل غَادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدِّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدَّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ[2]

الشِّعرُ ديوانُ العَرَب –كما قالوا- وهو سِجِلُّ حياتِهم، ومَظهَرُ عَبقَرِيَتِهم، ولم يكن لهم عِلمٌ أصحَّ مِنهُ، ويَحفظونَه ويَروونَه، ويتدارسونهُ في مواسِمِهم التي يُحكمُ بين الشُّعَراء. وبلغ الشِّعرُ مَنزِلَةً جعلته الوسيلة الإعلامية الأقوى تأثيرًا في المجتمع العربي منذ عصوره الأولى، ولأهميته تَسمّت به سورة في القرآن الكريم، وكذلك قال عنه النبي صلى الله عليه وسلّم في الحديث: "إن من البيان سِحرًا وإنّ من الشّعرِ حِكَمًا"[3]، وكتب عمرُ بن الخطاب الخليفة الراشد إلى واليه في العراق، أبي موسى الأشعري: "مُر مَن قِبَلِكَ بِتَعلُّمِ الشعر، فإنه يَدُلُّ على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب".[4]

صار الشّعرُ مِحورَ العلوم والثقافات منذ بدء الحضارة العربية، يَجمعون فيه فُنون العَقل، والإحساس العالي، ومهارة التعبير، وكلُّ عالِمٍ يَجِدُ فيه ما يروي غَليلهُ ويُطفيءُ ظمَأهُ، سواء في ذلك الأديب والنّحويُّ والبلاغيُّ والمُفَسّرُ والمُحَدّث والطبيبُ والفيلسوف وغيرهم، حيث نجد عددًا من العلوم العربية تم نظمها في قصائد شعرية سُمِّيَت بالمتون الشعرية، كألفية بن مالك في النَّحو، وألفية العراقي في علم الحديث، ومنظومة السُّلّم المُنَورَق للأخضري في علم المنطق، وجوهرة التوحيد علم العقيدة الإسلامية، وغيرها.

وقد تَمَيَّزَ الشِّعرُ بالموسيقى الإيقاعية التي جَعَلَت منه أداةً تُؤالِفُ بين الفكر والروح، وهذه السِّمَةُ انفرد بها الشِّعرُ عن سائر الفنون الأدبية الأخرى من الآداب العربية النثرية كالقصة والمقالة والخطبة والمقامة، كما أنها رقَت به عن جميع الآداب العالمية، فجعلته عصيًا على الترجمة والنقل إلى اللغات الأخرى، لأنه يجمع في تركيبه بين الإيقاع الفني والإحساس الذوقي والتركيب اللغوي مما ينتج بيانًا عاليًا تتعاون على إبرازه هذه الأدوات الثلاثة. وهذا لا يتوفر في أي أسلوب تعبيري من لغة أخرى.

1- الشِّعر الجاهلي

الشعر العربي قديم النشأة، وقد وصلنا بعض قديمه كالمنسوب إلى المُهَلهَل عَديِّ بن رَبيعة، وذؤيب بن كَعبِ بن تَميم، والأضبط بن قُرَيعٍ السّعدي، وبين بعض هؤلاء وبين العصر الإسلامي أكثر من أربعمئة سنة.[5] إلا أن الكثير من الشِّعر الجاهلي ضاع وفقدناه لأسباب ثلاثة: تَركُ العَربِ للتّدوين، وانشغالُ

---

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/194.

[3] أخرجه البخاري رقم (5146) ومسلم رقم (869) بلفظ: "إن من البيان لسحرًا"، والترمذي رقم (2029) وأبو داود رقم (5007،5011) بهذا اللفظ.

[4] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه 1/28.

[5] انظر: محمود الطناحي، في اللغة الأدب 2/745.

المسلمين عن رِواية الشِّعر بالدين، وموت كثيرٍ من الشُعراء ورُواة الشِّعر في حروب الجاهلية والفتوحات الإسلامية.[6]

ولا يُعرف على وجه الدِّقة أَوّلُ من نَظَمَ الشِّعر عند العرب، ويَصعُب تَتبُّعُ ذلك لتناثره في روايات متفرقة في طيات كتب التاريخ القديم، والتي كُتِبَت بعد عصور التّدوين عند العرب، وقد ورد في بعضها أن أوائل العرب في الجاهلية الأولى لم يصلنا عنهم من الشعر إلا ما كان ينظمه الشاعر في حاجته، وكانت أبياتًا شعرية مَعدودة، ومنها أبيات شِعرية منسوبة إلى الأضبط بن قُرّيعٍ السَّعدي الذي عاش في القرن الأوّل أو الثاني الميلادي، أما القصائد الشعرية ذات الموضوع المحدد، والصورة المتكاملة، والوزن المطّرد، فبدأت في عهد عبد المطلب أو هاشِم بن عبد مناف، في القرن الخامس الميلادي، ولم تصلنا بدقة قصائد شعرية قبل عَهد المُهَلهَل عَدي بن رَبيعَة التغلبي، ووصلتنا قصائده الطِّوال في رثاء أخيه كُلَيب التي زاد بعضها على ثلاثين بيتًا.[7]

يُعَدالرّجَزُ أقدمَ الشِّعر العَربي، وهو أوّل ما نَظَمَ عليه العربُ أشعارَ الجاهلية الأولى، لسهولته وموافقته للغناء وحِداء الإبل. وسُمّي رَجَزًا لاضطرابه وكَثرَةِ جَوازاته، وهو من أكثر الشِّعر تَغيُّرًا، مما يُسَهِّل على الشُّعراء نَظمَه، وأطلق عليه القُدَماءُ: حِمار الشِّعر لأنه كان مَطِيَّة لِتَعلُّم الشِّعر وتعليمه للأطفال، ولم يكن للرجز مكانةً مَرموقة عند الشُّعراء الكبار، نَظَرًا لسهولته وبُعدِه عن الصِّناعة الشِّعرية والنّظم البياني، وكان الرجزُ في الغالب أكثر كلام عامّة العرب في الجاهليّة، فلم يعُدُّه بعض النُّقَّاد شِعرًا.[8] ولسهولة نَظمه وحفظه استعمله العُلّماء بعد عصر التّدوين في نَظم العلوم في مُتون شِعرية.

أما المُعَلَّقات فهي قصائد شعرية من أجود ما نَظَمَه العرب في الجاهلية، واختلف في عددها والراجح أنها ثمانية مُعلّقات،[9] والمعلقة كانت محل عناية الشاعر فكانت –كما يقال- تُعَلَّقُ على جُدران الكَعبة وتُكتَبُ بماء الذَّهب.

كانت القَبيلة العربية إذا نَبَغَ فيها شاعر دَعَت القبائل الأخرى إلى الأفراح كما يفعلون في الأعراس، لأن الشاعر هو لسان حال القبيلة، ومفكرها وحاميها، والمدافع عن أحسابها وأنسابها، ولهذا يُعَد الشاعر ناطقًا باسم القبيلة، وراوية أخبارها وواعظها، ومُطرِبها ومعلمها.[10]

خصائص الشِّعر الجاهلي

كانت القصيدة تُفتَتحُ بالوقوف على الأطلال، ووصف آثار الديار، ثُمّ يُمَهّد الشّاعرُ بأبيات لغرض القصيدة، وقد يتخلل هذ المقدمة وصف للناقة أو الفرس. فتدور خصائص الشعر الجاهلي حول البادية

---

[6] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي 1/74، 124.
[7] انظر: الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3/27.
[8] انظر: محمود فاخوري، موسيقا الشعر، 6-7، 69-73.
[9] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي 2/75.
[10] انظر: الجاحظ، البيان والتبيين 4/83.

وما فيها، إلا القليل من شِعْرِ الذين حضروا بلاطات فارس والعراق والشام، كالأعشى والنابغة. وأهم خصائصه: صِدقُ العاطِفة، والبساطة الفِطريّة، والإطالة والاستطراد، وسَعة الخيال، وغَرابةُ الألفاظ، وبلاغة التركيب. وقد طغت على الشعر العربي السِّمة الغنائية، فلم تظهر فيه الأنواع الشعرية الأجنبية الأخرى من الشعر القصصي والملاحم والشعر الدرامي.

أغراض الشِّعر الجاهلي

تناولت القصيدة الجاهلية موضوعات كثيرة، وربما ذكر الشاعر في قصيدته موضوعات متعدّدة عَرَضًا لا صلة لها بموضوع القصيدة. ومع هذا فإن القصيدة الجاهلية تتميز بغرضين أساسيين: الوصف والفخر، بالرغم من تنوع الأغراض كالوقوف على الأطلال، ووصف الطبيعة؛ كالرحلة، والصيد، والتعبير عن الحالات الوجدانية التي كان يشعر بها؛ كالحماسة، والصبر والتجلد على ترك الأهل والبلد والحبيبة، والغزَل بمجونه وعُذريته، والفخر بنفسه وقبيلته، والمديح والهجاء والرثاء والحِكمَة، لكنّ الوصف دائمًا ينال حظًا وافرًا من القصيدة، لذلك قيل: أبلغُ الوصف ما قلَبَ السمعَ بَصرًا.

تركيب القصيدة الشِّعرية الجاهِليّة

لم يكن تركيب القصيدة الجاهلية مُطّرِدًا، فقصائده الطِّوال، وخاصّة المعلقات، كانت تختلف عن غيرها من القصائد من حيث التركيب المألوف، فالمعلقات غالبًا ما تبدأ بالوقوف على الأطلال، حتى باتَت المقدمة الطللية هي المفتاح للمُعلَّقة، ومع هذا إلا أن بعض الشعراء لم يلتزموا بذلك، كعمرو بن كُلثُوم حيث بدأ معلقته بوصف الخَمر:

ألا هُبي بِصَحنِكِ فاصبَحِينا ولا تُبقي خُمورَ الأندرينا[11]
مُشَعشِعَـةٌ كأنّ الخُـصَّ فيهـا إذا مالماءُ خالَطَها سَخينا[12]

ثم ينتقل الشاعر إلى ذِكرِ الحبيب ووصف الرّاحلة والطريق التي يسلكها، ثم المدحُ أو الفخر إذا كان الفخر هو الغرض المقصود من القصيدة، وينتهي بالحماسة أو الفخر أو بذكر شيءٍ من الحِكَمِ كما عند زُهير بن أبي سُلمى، أو الوصف كما عند امرئ القيس. وكل ذلك يكون بحسب الغرض المقصود من القصيدة، وكل قصيدة لها غرض رئيسي مقصود منها، كالغزل عند اِمرِئ القَيس، والحماسة عند عنترة، والمديح عند زُهَير، والاعتذار عند النابغة.[13]

من شُعراء العصر الجاهلي:

---

[11] الأندرين: قرى الشام. ويريد استيقظي من نومك أيتها الساقية واسقيني الصبوح بكأسك العظيم ولا تدحري خمور هذه القرى.
[12] شعشعت الشراب إذا مزجته بالماء. الخُصّ: الورس، وهو نبات أحمر كالزعفران. سخين: أي حار وهو صفة الشراب.
[13] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي 1/84-85.

تَقَدَّمَ على شُعراء العصر الجاهلي ثلاثة هم: امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى، تميز شعرهم عن سواهم، ثم تلاهُم في المنزلة باقي أصحاب المعلقات، ثم غيرهم من باقي الشعراء.[14]

1. **الأضبطُ بن قُرَيعٍ السَّعدي**، وهو من أقدم شُعراء العصر الجاهلي عاش قبل الإسلام بأربعة قرون تقريبًا، ولم يصلنا من شِعره قصائد طويلة بل أبيات معدودة، منها هذه الأبيات:

لكُلّ هَمٍّ من الهُمـوم سَـعَه — والمُسيُ والصُّبحُ لا فَلاحَ مَعَه
وخُذ مِن الدَّهر ما أتاكَ بِهِ — مَن قَرَّ عَينًا بِعَيشـه نَـفَـعَـه
لا تَحقِـرَنّ الفَقيـرَ علّكَ أن — تَركَعَ يومَاً والدّهرُ قد رَفَـعَـه[15]

2. **المُهَلهَلُ عَدي بن رَبيعَة التّغلبي**، من أقدم شعراء الجاهلية، وسُمّيَ المهلهل لأنه كان يُهَلهِلُ بالشِّعر أي يُرقِّقُه للنساء، وكان يُوصَفُ بأنّه زِيرُ النِّساء وهو مَن يُكثِرُ زيارَتهن. قاد قبيلته إلى حرب البَسوس، وقُتلَ فيها أخوه كُلَيب، فقضى حياته حزينًا من فَقدِه، واختلط عقله من حُزنه على أخيه، مات سنة 95ق.هـ. وروى أبو تمام في ديوان الحماسة بعض رثائه لأخيه كُلَيب، منه:

أهاجَ قِـــذاءَ عَينـي هُـــدوءًا فالدُّمـــوعُ لها انحِدارُ[16]
الاذكـــــارُ
وصـــارَ اللّيلُ مُشتَمِلاً علَينـــا كأنّ اللّيـــــلَ ليـس لـــه نَهـــارُ
دَعوتُـــكَ يا كُلَيبُ فَلَم تُجِبنـــي وكيفَ يُجيبُني البلَـدُ القِفـــــارُ[17]
أجِبنـي يـــا كُلَيبُ خـــــلاكَ ذَمٌّ
يَعيشُ المـــرءُ عنـــدَ بَني أَبيـــه نِـــزارُ[18]
ويوشِكُ أن يَصيرَ بِحَيثُ كأنّي إذ نَعـــى النّاعـــي صاروا
كُلَيبـــًا تَطـايـــرَ بيـن جَنبيَّ الشَّـــــرارُ[19]
فَدُرتُ وقد عَشي بَصَري عليـه كما دارَت بِشارِبهـــا العُقـــــارُ[20]

---

[14] انظر: الرافعي، تاريخ آداب العرب 3/236.
[15] شرح الأبيات في مبحث العربية والتراث اللغوي العربي.
[16] **الاذكار**: التذكُر. هدوءًا: هدوء الليل في أولّه.
[17] **القِفار**: الخالي من الناس والروح.
[18] **خلاكَ ذَمٌّ**: خلوتَ من العيوب ولا يذمك أحد.
[19] **نعى**: نقل خبر بالموت.
[20] **عَشي بَصَري**: غفت عينيه من شِدّة النعاس والتعب بسبب كثرة شرب الخمر. **العُقار**: الخمر.

3. **امرُؤ القَيس الكِندي:** من أقدم الشُّعراء الذين وصلتنا أخبارهم تامة، واسمه جُندُح ابن حُجرٍ، وأبوه كان ملكًا على بني أسَد، فنشأ امرئ القيس أميرًا في نجد، هو شاعر وجداني، كثير اللّهو والصّيد والأسفار، واسع الخيال، صَريحَ الغَزَل، وصاحب القصيدة التي رفعت قبيلته إلى الذُّروة حتى أصبحت نشيداً قومياً لهم. منها قوله:

إذا المرءُ لم يَدنَس مِن اللَّؤمِ عِرضُـهُ فكُلُّ رِداءٍ يَرتَـديـهِ جَميـلُ
تُـعَيِّـرُنا أنَّا قَليـلٌ عَديـدُنـا فَقلتُ لها: إنّ الكِرامَ قَليـلُ
ومـا ضَـرَّنا أنَّـا قَليـلٌ وجارُنـا عزيزٌ، وجارُ الأكثرين ذليـلُ

4. **زُهَير بن أَبي سلمى:** شاعر الحِكمَة، وقد عُرِف بالعناية بشِعرِه، فكان يَنظِم القصيدة في أربعة شُهورٍ ثم يُنَقِّحُها في أربعة شهور، ثم يَعرضِها أربعة شُهورٍ ثم يَنشُرها، فسُمِّيَت قصائده بالحَوليات، وعُدَّ في طبقة الحوليين مع مجموعة من الشعراء.من روائِعِ مُعلّقته:

سَـئِمتُ تَكاليفَ الحياة ومَن يعِـش ثَمانين حَـولاً لا أبا لَكَ يَسـأَمِ[21]
رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِيء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[22]
وأَعلمُ ما في اليومِ والأمـسِ قَبلَـهُ وَمَنْ تُخْطِيء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[22]
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ ولكنّني عن عِلمِ ما في غَدٍ عَـمِ
ومَن هـابَ أسبـابَ المنايا يُضَرَّسْ بِأَنْيَابِ وَيُوْطَأ بِمَنْسِـمِ[23] يَنَلنَـهُ
ومَن يَـكُ ذا فَضلٍ فَيبخَل بِفَضلِهِ وإن يَرقَ أسبابَ السَّـماءِ بِسُلَّمِ[24]
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـهِ على قَومِـهِ يُستَغنَ عنهُ ويُـذمَمِ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِـلاحِهِ يَكُـنْ حَمْـدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْـدَمِ[25]
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَـبْ عَدُوًا صَدِيقَـهُ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُهَدَّمْ يُظْلَـمِ[26]

---

[21] **لا أبا لكَ**: عبارة تقولها العرب للتنبيه والإعلام. **يسأم**: يصيبه الملل.
[22] **المنايا**: الموت. **خبط**: ضرب، **العشواء**: هي الناقة العمياء التي تمشي تضرب الأرض بغير هدى.
[23] **يصانع**: يُجامِل ويُداري. **يُضَرَّس**: تَعَضُّهُ الأضراس، أي: تُذِلُّه الحياة. **يُوطَأ**: يُداس. **المَنسِم**: خُفُّ البعير الذي يطأ به الأرض.
[24] **هابَ**: خاف. **أسباب المنايا**: القتال والحُروب.
[25] **المعروف**: الخير. أي: من يقدم المعروف لِمَن لا يستحقُّه فعليه أن يتوقع منهم الذمَّ لا المَدح.
[26] **يَذُد**: يدافِع. **الحوض**: ما يجب على المرء حِفظُهُ من مال وعِرضٍ وشَرَف وأولاد. ويعني من لا يحمي عرضه وشرفه بسلاحه سوف تستبيحه الناس.

وَمَنْ لَم يُكَـــرِّمْ نَفْسَـــهُ لَم يُكَـرَّمِ[27]

5. **النابِغَة الذُّبياني:** شاعر حضري، عاش في بلاطات المناذرة والغساسنة، في شعره رِقَّة المدَنية، من سهولة التركيب وفصاحة اللفظ، اشتهر بالمديح والاعتذار. قال يمدح النُّعمانَ بنِ المُنذِر، ويعتذر إليه مُبَرِّرًا زيارته لِبلاط مَلِك الغَساسِنة:

أتاني أبيتُ اللّعنَ أنّــكَ لُمتَني وتِلكَ التي أهتَمُّ مِنها وأنصَبُ[28]
حَلَفتُ فَلَم أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وليس وراء اللهِ للمَرء مَذهَبُ[29]
لَئِن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عني خيانَةً لَمُبلِغُكَ الواشي أغَشُّ وأكذَبُ[30]
أَلم تَرَ أنّ اللهَ أعطاكَ سُـورَةً تَرى كُلَّ مَلِكٍ دُونـها يَتَـذبـذَبُ[31]

6. **طَرَفَة بنُ العَبد**: قليل الشعر ولكنه بلغ بجودته ما بلغه المكثرون. برع في الحماسة والفخر والهجاء والحكمة، ومات شابّاً. يقول في معلقته:

سَتُبدي لكَ الأيامُ ما كُنتَ جاهِلاً ويأتيــكَ بالأخبــارِ مَن لَم تُـزَوِّدِ[32]
لَعمــــرُكَ مالأيـــامُ إلا مُـعَـــارَةٌ عن المرءِ لا تَسأل وابصِر قَرينَــهُ فما اسطَعتَ مِن مَعروفِها فتَزَوَّدِ[33]
فإنّ القَريـــــنَ بالمقارَنِ مُقتَـــدِ[34]

7. **عَنتَرةُ بنُ شَدّاد العبسي،** فارس عربي وشاعر مَجنونٌ بحبِّ عَبلةَ ابنة عَمّه. وقد نَظَمَ مُعلّقته بعد حرب داحس والغبراء، مُعاتِبًا بها عَبلَة، ويُلقي اللَّومَ فيها على أبيه وعمّه. منها:

أَثني عليَّ بِما عَلِمــتِ فإنّنـــي سَهـلٌ مُخـالَقَتي إذا لَم فإذا ظُلِمتُ فإنّ ظُلمــيَ باسِـلٌ أُظلَـــمِ[35]

---

[27] من يبتعد عن قومه ويصبح غريباً، فإنه يختلط عليه الأمر فلا يعرف العدوّ من الصديق. ومن لا يحافظ على كرامته وقدره فإن الناس لا يعرفون له قدرًا ولا كرامة.

[28] **أبيتُ اللّعنَ**: دُعاء للمخاطَب أن يتجنّب لَوم المتكلِّم وذَمَّهُ. **أهتَمُّ منها**: تصيبني بالهموم. **أنصَبُ**: أتعَبُ.

[29] **رِيبة**: شَكّ أو تَردُّد.

[30] **الواشي**: النّمّام؛ وهو من يؤلف الكلام ويزينه بالكذب. أغَشُّ: أكثر خِداعًا.

[31] **سورة**: مَنزِلَة. **يتذبذب**: يضطرب، أي: يجتهد الملوك في بلغ منزلتك لكنهم لا يستطيعون.

[32] **تزوِّد**: تعطيه زادًا من طعام أو أجر.

[33] **مُعارة**: شيء مستعار، أي لن تدوم لك، فاستفد منها ما استطعت.

[34] **القرين**: الصاحِب.

[35] **مخالقتي**: معاشرتي.

هلّا سألتِ الخَيلَ يابنــةَ مالـكٍ مُرٌّ مَــذاقَتُــهُ كَطَعــمِ العَلقَــمِ[36]
يُخبِركِ مَن شَهِدَ الوَقيعَةَ أنّني أغشى الوغــى وأَعِفُّ عِندَ المغنَمِ[37]
ولقد ذَكرتُــكِ والرِّمـاحُ نَواهِلٌ مِنّي وبِيضُ الهِندِ تَقطُرُ مِن دَمي[38]
فَوَدِدتُ تَقبيلَ السُّيــوفِ لأنّهـا لَمَعَت كبـارِقِ ثَغــرِكِ المُتَبَسِّــمِ[39]

8. **الشَّنفَرى**: من الشُّعراء الصّعالِيك، أكثر شِعره في الحماسة والفخر، وله شعر في الغزل، وهو صاحب القصيدة الشّهيرة "لاميّة العرب" التي بلغت من الحُسن والفصاحة مبلغًا عظيمًا. منها:

أَقيموا بَني أمّي صُــدورَ مَطيِّــكُم فإنّي إلى قَــومٍ ســواكُم لأميَلُ[40]
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقمِرٌ وشُدّت لِطَيَّاتٍ مَطـايا وأَرحَلُ[41]
وفي الأرض مَنأىً للكريمِ عن الأذى وفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[42]

2- الشِّعر في صدر الإسلام

جاء الإسلام بفكر جديد، لا يتناسب مع تطلعات الشِّعر الجاهلي وخصائصه وأغراضه، فاختلف الشعر الإسلامي عن الجاهلي، من حيث المضمون والخصائص والأغراض. كما شهد العصر الإسلامي شُعراء عاشوا في العصرين الإسلامي والجاهلي، واستمروا في نظم الشعر، فأُطلِق عليهم: الشعراء المخضرمين، منهم لَبيدُ بنُ ربيعة الذي هجر الشِّعر إلى القرآن، وكَعبُ بنُ زُهَير، والأعشى، وعبد الله بن رواحة، والخنساء، وحسان بن ثابت، وغيرهم.

---

[36] **باسِل**: كَريه. **العلقم**: نَباتٌ طعمه شدسد المرار.
[37] **الوقيعة**: المعركة. **الوغى**: الحرب أو شدة القتال.
[38] **نواهِل**: الرماح التي نالت من جسده. **بيض الهند**: السيوف.
[39] **بارِق**: لامِع. يُشَبِّه لمعان السيوف في وقت الحرب بابتسامة عبلة.
[40] **بَني أمّي**: قومي. **أقيموا صُدورَ مَطيّكُم**: ارفعوا إبلكُم من مباركِها. **أَميَلُ**: أي أَميلُ إلى تفضيل غيركم عليكم.
[41] **حُمّت**: تَهَيّأت، أي وجب القيام بها. **مُقمِر**: مُضيء. **طَيّات**: المكان المقصود. أي: شُدَّت الرِّحال للسّفر.
[42] **مَنأى**: مكان بعيد. **القِلى**: البُعد والهَجر. **مُتَعَزّل**: مكان يعتزل فيه الناس وأذاهم.

وبالرغم من تَمَيُّز العصر الإسلامي بشُعراء كبار، إلا أن الشِّعر في صدر الإسلام كان قليلاً جِدًا بالنسبة إلى العصرين الجاهلي والأموي، فاعتُبر العصر الإسلامي مرحلة ركود وإقلال في تاريخ الشعر العربي، وذلك لأسبابٍ من أهمها:

- انشغال المسلمين بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية والعمل بهما.
- خشيتهم من اختلاط الشِّعر بمفاهيم الدين الجديد، وخاصة أنهم قريبوا عهد بالجاهلية، إذ الشِّعر عند العرب في الجاهلية كان نبراسًا ومنارة للناس، يهتدون به في أخلاقهم وسلوكهم، فلما جاء الإسلام توقف الناس عن الأخذ بغير القرآن الكريم والسنة النبوية، فضعف اهتمامهم بالشعر وسواه من الآداب، حتى يتبين لهم موافقته لمبادئ الإسلام.
- وَرِدَ في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يُنَفِّرُ من الشِّعر، ومِنهُ قولُه تعالى: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)، وقوله تعالى: (وما علّمناه الشِّعرَ وما ينبغي له، إن هو إلا ذِكرٌ وقرآن مبين).و قول النبي صلّى اللهُ عليه وسلم: (لِأن يَمتليءَ جَوفُ أحدِكُم قَيحًا خيرٌ لَهُ مِن أن يَمتَليءَ شِعرًا). وغير ذلك، لكن أكثر الصحابة والعلماء على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكره الشِّعر، بل كان يسمع الشِّعر من بعض الشُّعراء، واتخذ شُعراء من المخضرمين وغيرهم، وكان من كبار الصحابة شُعراء ويرددون أشعار العرب.

ونلاحظ أنّ أسلوب الشعر في بداية العصر الإسلامي، وخاصة عند الشُّعراء المخضرمين، له جانبين، الأول: بقي على رصانته المعهودة، ونسجه المتين، كما كان في الجاهلية، وظهر ذلك في شِعر الحُطَيئة وحسان بن ثابت. والثاني وهو الأكثر: وظهر فيه ضعف النسيج الشعري، فكان أقل براعة لِضيق المجال الوجداني الذي كان متاحًا قبل الإسلام، وقد شمل هذا المجال نهي الإسلام عن المفاخرات والمنافرات والغزل والهجاء والمبالغة والمغالاة... إلخ،[43] ممّا ضَيّق وُسعَ الشعراء وجعلهم يتكلفون نهجًا جديدًا، تجلّى بأبدع صوره في مديح النبي صلى الله عليه وسلم.

وظهر في الشِّعر في العصر الإسلامي، أغراض الحماسة والشجاعة والفخر المقترنة بالفتوحات والغزوات. ونلاحظ في هذا الشعر تغيرًا في أغراضه، فالمديح مثلاً قَلَّ نسبيًا وتحوَّل إلى قِيَمِ الإسلام ومبادئه، كماخَفَّت المبالغة كثيرًا، وضَعُفَ الهجاء والغَزلُ كثيرًا، وبات موجّهًا إلى حُبِّ الإسلام والتعلّق به وبنبيّه، كما نلاحِظ كثرة الرثاء للشهداء وقصائد الوعظ والَحثّ على مكارم الأخلاق والتمسك بالآداب.

وبرز في العصر الإسلامي، التميز في استعمال الشِّعر كمصدر لغوي مُعينٍ على فهم وإدراك المعاني والغايات البيانية، وذلك من خلال استعمال الشعر الجاهلي والإسلامي في جوانب تفيد الاستدلال اللغوي من جهة المعاني والاستخدام اللفظي الأسلوبي، للدلالة على معاني ومفاهيم معينة في القرآن الكريم، والاستعانة به على فهم تلك المعاني، وتحديد مقاصد الآي القرآني، والدلالة على الفهم السليم، وبالتالي

---

[43] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي 1/257.

ترسيخ الشِّعر العربي كمصدر من مصادر اللغة، ومن ذلك قول النّبي صلى الله عليه وسلّم: **(أصدق كلمة قالها الشاعر لَبيد:**

ألا كُلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ بَاطلٌ) وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زَائلُ

وكان أبو بكر الصديق يقول إذا سمع بَيتَ لبيد: **(إلا الجنّة)**. مؤكدًا معناه وناقدًا نقصه. كما كان عُمَرُ بنُ الخطّابِ لا يُقَدِّمُ شاعرًا على زُهَير بنِ أبي سُلمى، وكان يُرَدِّدُ كَثيرًا مِن مُعَلَّقَتِهِ الأبيات التي تبدأ بـمَن، ويُسمّيه: صاحب مَن ومَن، ويعني بها معلقته. كما كان عُمَر يَسألُ عبدَ اللهِ بن عبّاس عن تفسير آية من القرآن، ويقوي تفسيره بشاهد من الشعر الجاهلي يُرَجِّحُ معنى دون آخر.

أهم شُعراء العصر الإسلامي:

1. **كَعبُ بن زُهير بنُ أبي سُلمى،** من فُحول الشعراء المخضرمين، مُكثِر الشِّعر ومُجيده، أهم أغراضه في المديح والهجاء والحماسة، وكان كثيرَ النقد لشعره، غيرَ راضٍ عن بعضه، جعله بعض النقاد في طبقة لبيد والنابغة، وقرنه آخرون بأبيه، من أهم قصائده الشعرية وأشهرها، قصيدة "البُردة" التي أنشدها أمام الرسول عندما جاءه مُعتذِرًا، بعد أن أُهدِرَ دمُه، فأتى إلى المسجد النبوي ورأى رسول الله لأول مَرّة، فاعتذر منه، وأنشد يقول:[44]

بانَت سُعادُ فقلبي اليومَ مَتبـــولُ مُتَيَّـمٌ إثرَهـــا لَم يُفـدَ
وما سُعادُ غَداةَ البَين إذ رَحَلُـــوا مَكبـــولُ[45]
أُنبِئتُ أَنَّ رَســـولَ اللهِ إلا أغَنُّ غَضيضَ الطّرفِ
أَوعَـــدَني مَكحُولُ[46]
مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ وَالعَفـــوُ عِندَ رَســـولِ اللهِ
لا تَأَخُذَنّي بِأَقـــوالِ الوُشـــاةِ وَلَم مَأمولُ[47]
قُرآنِ فيها مَـــــواعيظٌ
وَتَفصـــيلُ
أُذِنب وَلَـو كَثُرَت عَنّي
الأَقـــــاويلُ[48]

---

[44] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي، 1/282 - 286.
[45] **متبول**: غلبه الحب والهوى. **مَكبول**: مكبلٌ، وهو الأسير.
[46] **البَين**: البُعد. **أغنّ**: رخيم الصوت. **غَضيضُ الطّرف**: متواضع. **مَكحول**: كأنه أكحلُ العينين.
[47] **أَوعَدَ**: تَوعَّد، أي أنذره بالعقاب.
[48] **الوُشـاةِ**: الذين ينقلون الكلام المفترى كذِباً. **الأقاويل**: الأقوال.

2. **كَعبُ بن مالِك الأنصاري**، من الخزرج، شهد بيعةَ العقبة وأسلم مع أسرته. كان من فحول الشعراء في الوصف والحماسة، له شعر أجاد فيه، من قوله في رثاء حَمزة بن عبدالمطلب، عَمُّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم، مخاطبًا أُختَه صَفيَّة:[49]

صَفيّةُ قومـي ولا تَعجِـــزي ... وبَكّي النِّساء على حَمـــزَةِ
ولا تسأمي أن تُطيلي البُكا ... على أسد الله في الهَـــزَّةِ
فقــد كان عِـــزّاً لأيتامِنـــا ... ولَيثَ الملاحِـــمِ في البَـزَّةِ
يُريدُ بِذاكَ رِضـا أحمَـــدٍ ... ورِضوانَ ذي العرشِ والعِزَّةِ

3. **حسان بن ثابت:** من أشراف الخزرج، وفحول الشعراء في الجاهلية، برع في المديح وتميز بعذوبته، وتجوَّل في بلاطات المناذرة والغساسنة يتكسّب بالشِّعر، ولما دخل الرسول المدينة أسلَمَ وانقطع إلى مديح النبي والدين، وهجاء المشركين، ويعود له الفضل في نشأة المديح النبوي في الشِّعر. من شِعره:[50]

بِطَيبَةَ رَســـــــمٌ للنّبي ومَعهـدٌ ... مُنيـرٌ وقد تعفـو الرســومُ وتَهمِدُ
ولا تَمحي الآياتُ مِن دار حُرمَةٍ ... بها منبرُ الهادي الذي كان يَصعَدُ[51]

4. **عبدُالله بن رَواحَة**، بن امرئ القيس، بن مالِك بن كَعبِ الخزرجي، من الشّعراء المجيدين المخضرمين، كان في الجاهلية سيِّدًا عَظيم القَدر، وكان يُناقِضُ قيسَ بن الحُطَيم في الشعر،[52] وصار في الإسلام يَمدَحُ الرّسول ويَرُدُّ على المشركين. من شعره في هِجاءِ أبي سُفيان بعدَ غَزوة بَدرٍ:

وَعَدنا أبا سُفيانَ بَدرًا فَلَم نَجِد ... لِميعادِهِ صِدقًا وما كانَ وافيـــًا
تَرَكنا بها أوصـــالَ عُتبَـــةَ وابنـــهِ ... وعَمرًا أبا جَهلٍ تَرَكنـــاهُ ثـــاويـــًا[53]
عَصَيتُم رَسـولَ الله أُفٍّ لِدينِكُم ... فإنِّي وإن عَنّفتُمـــــــوني لَقائِـــلٌ
وأمرِكُمُ السَّيءِ الذي كان غاوِيًا ... أطَعنـــاهُ لَم نَعدِلهُ فينا بِغَيـــرِهِ
فِدىً لِرَســـولِ الله أهلي ومالِيًا ... شِهابًا لنا في ظُلمَةِ اللّيلِ هاديًا

---

49 انظر: فروخ، تاريخ الادب العربي، 1/ 323 - 324.
50 انظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي 1/325-330.
51 **تهمد**: تسكن. **الهادي**: النبي صلى الله عليه وسلّم.
52 المناقضة نوع من الهجاء في الشعر، يشترك فيه شاعران أو أكثر، فيهجو كلٌّ منهما الآخر بنفس القافية والوزن.
53 **أوصال عُتبة وابنه**: أي تركنا جثتهما ميتين. **ثاويًا**: ميتًا.

5. **الخَنساء،** لَقَبٌ لَحِقَ بالشاعرة تماضر بنت عَمرو الشّريد، من بني سُلَيم. قُتِل أخواها معاوية وصخر في حروب الجاهلية، فحزت عليهما حزنًا شديدًا أهب لها بصرها، وأنشدت الشعر في رثائهما وخاصة صخر منهما، وَفَدَت مع قومِها على رسول الله فأنشدت فيه شِعرًا وأسملت معهم، لكن إسلامها لم يغير من حزنها على أخويها، بالرغم من طول العهد، حتى رآها عمر بن الخطاب في خلافته فسألها: أتبكين لهما وهما من أهل النار؟ فقال كنت أبكي لهما من الثأر، والآن أبكي لهما من النار!. وعندما سارت جيوش المسلمين لفتح العراق جمعت بنيها الأربعة وحثتهم على الجهاد والثبات ونصرة الإسلام، فاستشهدوا جميعًا، فلما جاءها النعي بقتلهم قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. واتفق النقاد على أن الخنساء كانت من أعظم شواعر العرب، ويتصف شعرها بأنه فصيحُ اللّفظ رَقيقٌ مَتينُ السَّبك. وأكثر شعرها في الرثاء وقليلٌ منه في الفخر. منه:

يُذَكِّرُني طُلُوعُ الشّمس صَخرًا وأنــدُبُه لِكُلِّ غُــــروبِ شَمــسِ
ولولا كَثــرَةُ البــاكينَ حَـولي على إخــوانهم لَقَتلتُ نفســي
فلا والله لا أنســاكَ حــتّى أُفارِقُ مُهجَتــي وأَزورُ رَمســي
فيا لَهَفي عليه ولَهــفَ أمّــي أَيصبِحُ في الضّـريحِ وفيه يُمسي

3- الشِّعر في العصر الأموي

ازدهر الشِّعر في العَصر الأموي وتنوع، ولَقِيَت صناعة الشعر تشجيعًا كبيرًا من الخلفاء والأمراء، ونال الشُّعراءُ حَظوَةً في بلاطاتهم، كما ظهرت فيه أغراض لم تكن مَعروفةً في العصرين الجاهلي وصدرالإسلام، على الرغم من مشابهته لكثير من أساليب الشعرالجاهلي. ويبرز في هذا العصر غرضان يتميز شعر هذه المرحلة بهما:

- **الشِّعر السِّياسي:** تَمَثَّلَ في المديح والهجاء لأسباب سياسية، وبرزت فيه المبالغات والمغالاة في هذين الغرضين، وتطور شكل الهجاء المعروف في العصرالجاهلي إلى أن اتخذ شكلاجديدًا في العصرالأموي، بسبب العوامِل السياسية وأثرها في نفوس الشُّعراء، وشَهِدَ نوعًا من العصبية التي برزت فيه، وتَطَوّرَ الهِجاءُ بحيث تطورت المناقضات الهجائية وانتظمت بشكل أفضل عن العصرين السابقين، فبرزت مناقضات شعرية عِدّة، يردُّ فيها الشاعر على من يهجوه بأبيات من نَفسِ الوزن والقافية، وربما في نفس المجلس، ثم يجيبه الأول كذلك، كما جرى بين الأخطل وجَرير

والفَرَزدَق. والغالب في النقائض أن تكون بين شاعرَين، وقليلاً ما كان يدخل في المناقضة أكثر من شاعرين. ومن أشهر شعراء هذا الغرض الفرزدق والأخطل وجرير، والطِّرماح بن حَكيم.

- **الشِّعر الغَزَلي:** ازدهر الغزل في العصر الأموي بعد أن أُهمِلَ في صدر الإسلام، غير أنه عادَ بثَوب جديد، حيث صارت القصيدة بكامِلِها مُختَصّة بالغَزَل، ولا يشاركها فيه غرض آخر. ومن أشهر شُعَراء الغزل جَميلُ بُثَينة، وكُثَيِّر عَزَّة، ومَجنون لَيلى.

وعلى الرغم من بروز هذين الغرضين إلا أن أغراضًا أخرى تميزت في شِعر هذا العصر منها الحماسة الشديدة والمغالاة والتَّعصب القبلي والسياسي والنّزعة النّفعية في المديح والهجاء، إضافة إلى ظهور شعر الموالي الذي يتميز بمفاخرة العرب، كما ظهر نتيجة لكثرة الترف واللّهو غَزَلٌ صَريحٌ أقرب إلى الإباحي، وتوافرت أسباب الغِناء واللّهو في المدن ما أدّى عَودة الخَمرة إلى الشِّعر والتغني بها.

من شعراء العصر الأموي:

1. **عُمَر بنُ أبي رَبيعة** بن المغيرة، ولد في المدينة المنورة في ليلة مقتل الخليفة عُمر بن الخطاب، فتسمّى باسمه، وتكنى بكنيته أبو حفص، تفرّغَ للعلم والتنقل، وكان له حظ كبير في التنعم واللهو، كان من أشهر شعراء الغزل في عَصره، وأتقن الصِّناعة الشعرية، فكانت قصائده متقنة في وحدتها الموضوعية، يبرز فيها صِدقُ العاطِفة وعُذوبة الديباجة. من أشهر قصائده الرائية، يقول فيها:

أمِن آلِ نُعمٍ أنـــتَ غادٍ فَمُبكِـــرُ غَداةَ غَدٍ أم رائِحٍ فَمُهَجّـــرُ
لحاجَةِ نَفسٍ لم تَقُل في جَوابِها فَتبلغَ عُذرًا والمَقالَةُ تَعـــذُرُ

2. **الأخطَل،** لَقَبٌ لَحِق بغياث بن غَوث من بني عمرو، وُلِدَ في الحِيرَة ونشأ فيها مُغرَمًا بالهِجاء، وكان جريئاً سَفيه اللسان. ذاع صيته بعد اتصاله ببلاطات الأمويين، وقرّبه محمد بن زرارة الأزدي ليهجو جريرًا، فامتدح الأمويين في شعره وهَجى جَريرًا، وكان يستعين بمفاخر الفرزدق ليهجو جريرًا. وكان يشبه شعره شعرَ النابِغة الذُّبياني لكثرة تقليده له، ومن هِجائه:

ولَقَد تناسَبتُم إلى أحســـابِكُم وجَعلتُمُ حُكمًا من الســـلطان
فإذا كُلَيـــبٌ لا تُســاوي دارِمـًا حَتّى يُساوَى حَـــــزرَمٌ
وإذا وَضَعتَ أباكَ في ميزانِهِم بِأبـــانِ
رَجَحوا وشالَ أبوكَ في الميزان[54]

[54] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العرب 1/557- 559.

3. **جَميلُ بُثَينة،** هو جميل بن مَعمَر من قُضاعَة، ولد سنة 40هـ/660م، تَعلّق قَلبُه بابنة عَمّهِ، فخَطبَها من أبيها لكنه رَدّهُ. زاد وَلَعُ جَميل بِبُثَينة، وصار يأتي يزورها ويقول الشّعر فيها، فاستعدى عليه أهلها مروان بن الحَكَم، وكان واليًا على الميدينة المنورة، فهرب جميل إلى أخواله في اليمن، ثم عاد إلى الشام حيث ذهبت بُثينة ثم إلى مصر وتوفي في مصر وهو في شبابه بعد مرض أجهده. 82هـ/701م.

قَدّم النقاد شعره على شِعر معاصريه في الغَزَل، وشِعره رَقيق سَهلُ التركيب واضح المعاني متأجّج العاطِفة، منه:

لَقَد فَرِحَ الواشون أن صَرَمَت حَبلي بُثينَةُ أو أبدت لنا جانِبَ البُخلِ
يقـــولون مَهلاً يا جَميـــــلُ لأُقسِمُ ما بي عن بُثَينَةُ من مَهلِ
وإنَّني

4. **مجنون ليلى** لَقبٌ لحِقَ بالشاعر قيس بن المُلَوَّح، وهو شاعر رقيق الأسلوب، متأجج العاطفة، تُعَدُّ قصائده ملحمة شعرية في الحُبِّ العُذري، وقد نَحَلَ كثيرٌ من الرُّواة شِعرًا من جنس شعره، وتركت قصته الشِّعرية أثرًا عظيمًا في الأدب العربي والفارسي والتركي. ومن لطائف شعره:

إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى أُسَرُّ بِذِكْرِهَا كمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ القَطْرِ
تَداوَيتُ مِن لَيلى بِلَيلى من الهوى كما يَتَداوى شـــارِبُ الخَمرِ بالخمر[55]

4- الشعر في العصر العباسي

وصف المؤرخون العصر العباسي بالعصر الذهبي، لبلوغ المسلمين فيه من العمران والسلطان ما لَمْ يبلغوه من قبل، ولنضج العقل العربي فيه، إذ جَعَلَ من البحث العلمي والتطوير المعرفي سبيلاً له، فبلغت الأمة العربية والإسلامية أوج تقدمها الحضاري الذي أفادت منه شعوب العالم لاحِقًا، ولا سيما العالم الغربي. فاقتضى هذا التحضّر ازدهارًا أدبيًا ارتقى بالشِّعر ومكانَةِ الشُّعراء، فاجتمع في عهد هارون الرَّشيد من الوزراء والقادة والأمراء والعلماء والأدباء والشعراء والخطباء والفقهاء والمحدثين ما لم يجتمع في عهد خليفة غيره. ولقد بلغ الشعر ذُروته وأوج عظمته في العصر العباسي للأسباب التالية:

1. اختلاط العرب بالأمم الأخرى بعد الفتوحات.
2. ما نُقل إلى العربية من الآداب الهندية والفارسية وأدى إلى ظهور أساليب جديدة في الشعر العربي وألوان من السّعة والتفنن في الخيال الشعري.
3. تقريب الولاة والحكام للشعراء، ومنحهم الأعطيات والهبات مما شجعهم على التنافس وتطوير الصناعة الشعرية.

[55] انظر: فروخ، تاريخ الأدب العرب 1/236-437.

ومن يُطالِع ما نقل من الأدب العربي في العصر العباسي سيجد ثراءًا وغِنى في امتزاج الشعر في مظاهر الحياة، حيث يرسم الشاعر لوحة فنيةً بديعة، كما يجسد من خلاله السياسيون فكرهم ونهجهم، ويعبر به المتصوفة والزهاد عن أحوالهم ومشاعرهم، كما يقدم به الفلاسفة أفكارهم وإبداعاتهم، كما سيجد اهتمامًا من الخلفاء والوزراء والأمراء منقطع النظير بالشعر والشعراء، فقرّبوهم وعقدوا لهم المجالس الشعرية، وربما زادت هِباتهم وأعطياتهم عن ألف دينار على بيت الشِّعر الواحد.[56]

خصائص الشعر العباسي

من أهم الأغراض التي مَيزَت شعر العصر العباسي المديح، لِقُرب الشُّعراء من الولاة والحكام، وقد ظهرت فيه المغالاة في المعاني، والتكلّف في إظهار الوجدانيات، كما أغرق بعض الشعراء غزلهم بالألفاظ السّهلة التي تخاطب العامة، وأحيانًا يصاحِبه جرأة غيرمسبوقة بذكر الألفاظ الفاحِشة بأساليب سَلِسة، فأكثروا من وَصف الخَمرة ومَجالسها ونُدمانها، كما أدى انتشارُ الفِكر الفَلسفي الوافد على الثّقافة العربية والإسلامية مع الحرية التي شهدها المجتمع إلى بروز أفكار في الشعر ربما وصلت إلى حدّ الزّندقة والاستهتار بالدين.

وفي مقابل هذه النّزعة ظهرت ألوان جديدة من شعر الوعظ والغَزَل والتّدَين والزُّهد، وبرز بشكل خاص منه الشِّعر الصوفي كشعر ابن الفارض الذي يتمثل في شعر الحُبّ والعِشق الإلهي، وقد لُقِّبَ بـ سلطان العاشقين. من شِعره:

ما لي سوى روحـي وباذِلُ نفسِهِ ... في حُبِّ مَن يهواه ليس بِمُسرفِ
فَلَئِن رَضيـــتَ بها فقد أسْعَفْتَني ... يا خيبـــةَ المسعى إذا لمْ تسعفِ
وحـياتِكُم وحـياتِكُم قَسَمــاً وفي ... عُـمري بـغيرِ حـياتِكُم لم أحْلِـــفِ
لَو أنَّ روحـــــي في يدي ووهبتها ... لمُبَشّري بِقَـــــدومِكُم لم أنصفِ
لا تحسبوني في الهـــوى متصنِّعاً ... كَلَفـي بِكُم خُلُـــــقٌ بِغَيــرِ تَكلُّفِ

ويقول في قصيدته المشهورة بالخَمرية:

شَـرِبْنَا عـلى ذكْـرِ الحبيبِ مُدامَةً ... سَـكِرنَا بها مِن قَبلِ أن يُخلَقَ الكَرْمُ
ولـولا شَـذَاها مـا اهتدَيتُ لِحانِها ... ولـولا سَـناها مـا تصَوّرها الوَهْـــمُ
ولـو عَبِقَتْ في الشّرقِ أنفـاسُ طِيبِها ... وفـي الـغربِ مَزكومٌ لَعادَ لهُ الشَّـمُّ
يـقولونَ لـي صِفْهَا فأنتَ بوَصفــها ... خـبيرٌ أَجَـلْ عِندي بأوصافها عِلم

[56] انظر: فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي 668-669.

صـفاءٌ ولا مـاءٌ ولُـطْــفٌ ولا هَوىً ونـــــــورٌ ولا نـارٌ وروحٌ ولا جِسـمٌ
تَـقَـدّمَ كُـلَّ الـكائنـــــاتِ حـديثُهـــا قـديمًا ولا شَـكلٌ هـناك ولا رَسم

بالإضافة إلى ظهور نوع جديد من الحكمة التي تعالج مشكلات وقضايا المجتمع بأساليب فلسفية جديدة من خلال الشعر كما في شعر أبي العلاء المعري.

كما أن شعراء هذه المرحلة لم يتخلَّصوا من الفخر والتعصب القبلي والحماسة التي كانت في المرحلة السابقة على الرغم من الحياة الحضرية التي يعيشيونها، رغم أن عصرهم كان عصر انفتاح وحرية وفكر وحضارة.

أما الرِّثاء فقد طَوَّره بعض الشعراء، وجعلوا له منهجًا جديدًا غير ما كان معروفًا في العصرين السابقين، وتميز بذلك رثاء ابن الرومي للبصرة، وأثّر نهجه بشعر المرحلة اللاحقة وهي العصر الأندلسي.

وبهذا يكون للشِّعر في هذه المرحلة اتجاهين:

1- اتجاه تقليدي في الشعر: التزم أصحابه بالأساليب الشّعرية التي كانت في المراحل السابقة من الجاهلي إلى الأموي.

2- اتجاه تجديدي: غَيّرَ فيه الشعراء تلك الأساليب، وأظهروا نهجًا جديدًا يميل نحو البساطة ومخاطبة عامة الناس، واعتراضوا من خلالها على عادات في المجتمع، ومَثّل هذا الاتجاه أبو نواس وأبو العتاهية وابن الروّمي.

من شعراء العصر العباسي:

1. أبو نُوّاس الحسن بن هانيء، عربي الأب، تنقل بين البصرة والكوفة في صغره، يتعلم الشعر والعلم، ثم انتقل إلى بغداد، وبدأ حياته بمنادمة أمراء البيت العباسي، والتَفَّ حوله عصابة من الشعراء الماجنين، وكان يفضل حياة الحضر وترفها وينتقد بشعره حياة البدو وشظفها. بالرغم من تَميُّز شعره واتصافه بالجرأة إلا أنه كان عالمًا بالدِّين، وَطيدَ الإيمان، حتى قيل كان أعلَمُ من الشافعي في الفقه، لكن غَلَبَ عليه الشِّعر، وكان الشّافِعيُّ أشعر من أبي نُوَّاس لكن غَلَّبَ عليه الفقه. ويتميز شعره بالتنوع والتجديد، وربما اعتبره بعض النقاد زعيم التّجديد في الشعر العربي، لجرأته وتنوع قصائده، ولقدرته على تطييع الشِّعر للتعبير عن أفكاره مهما كانت بسيطة أو عظيمة. فلم يسبقه شاعر في براعة التصوير وعذوبة التعبير وسهولة الحوار. ومع هذا كله فقد كان له احتفاء

بالخمر في شعره، ويجاهر بذكرها، فكان مُتَعدِّد الأغراض يُشارُ له في الوصف والغزل والمدح والزهد.

ومن شعره في الخمريات:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنّ اللّوْمَ إغْرَاءُ ودَاوِني بالّتي كانَـــــتْ هيَ الدّاءُ
وقلْ لمنْ يدَّعِي في العِلمِ مَعرفَةً حَفِظْتَ شَيئًا وغابَتْ عَنكَ أَشياءُ[57]

2. أبو تَمّام الطائي، هو حبيب بن ثيودوثيوس العطار، نشأ في دمشق واعتنق الإسلام، واعترضته مشكلات بعد إسلامه فذهب إلى حمص، وانتسب إلى عُتيبة بن عبدالكريم الطّائي، فَعُرِف بأبي تمّام الطّائي. ثم رحل إلى مصر وعاد إلى الشّام أيام المأمون فوبّخه على ميله إلى العلويين، فاعتزل في شمالي الشام والعراق، وبعد وفاة المأمون استقر في خراسان. علا نجمه بعد مدحه المعتصم، وخاصة بعد أن أنشده القصيدة التي فيها:

السَّيفُ أَصدَقُ إنباءً من الكُتُبِ في حَدِّه الحَدُّ بن الجِّد واللّعبِ

كان أبو تمام مُتقِنًا للصناعة اللفظية ويتكلفها، وكان مولعًا بتقصي أوجه المعاني، ويملأ شعره بالتشابيه والاستعارات، والإشارات التاريخية والفلسفية والنحوية. وكان بارِعًا في الرّثاء والمديح، ويحسن تضمين الحِكَم في شعره، وله عدد من الكتب ضَمَّنَها مختارات من شعر القدماء والمحدثين، من أشهرها كتاب **ديوان الحماسة**.

3. أبو الطيِّب المتنبي، ولد ونشأ في الكوفة، كان قرمطيًا، ونُسِبَ إلى بني كندة لنشأته في حيهم، كان كثير التَّطواف في المدن والبلدان ويحب مدن الشام، ولَقيَهُ سَيفُ الدولة الحمداني فعَرَضَ عليه صُحبته، وأكرمه وصارت له شهرة عظيمة، ومنزلة جمعت له حسادًا، فخرج إلى مصر يمدح فيها كافور الإخشيدي المستبد فيها، لكن المتنبي انقلب عليه وصار يهجوه بأقبح الأوصاف، وهرب عائدًا إلى بغداد، ثم خرج منها إلى الكوفة فاعترضه قاتله طمعًا في ماله قُربَ بغداد.

كان المتنبي بعيد الطموح، شديد العصبية، عظيم الاعتداد بنفسه، يتكبر على الناس، لكنه كان فارسًا شجاعًا، واسع المعرفة، عزيز النفس واليد.

امتاز شعره بكثرة المعاني وضرب الأمثال، والمبالغة في كل شيء، وفخامة الأسلوب، ومتانة الحبكة الشعرية، غني التشابيه والاستعارات، وأناقة التعبير. من شعره:

أينَ فضلي إذا قَنِعتُ من الدّهـــ ـــر بعيـــشٍ مُعَجّـل التّنـكيدِ
عِشْ عَزيزًا أو مُتْ وأنتَ كَريمٌ بين طَعنِ القَنا وخَفقِ البُنودِ

[57] انظر: تاريخ الأدب العربي، فروخ، 3/158-163، الجامع، فاخوري 692-712.

فاطلُبِ العِزَّ في لَظى ودَعِ الذُّ لَّ ولو كان في جِنانِ الخُلـودِ[58]

4. أبو فراس الحَمْداني، ولد في الموصل، ونشأ في مَنبِج يتيمًا في كفالة ابن عمّه سيف الدولة، وتلقى العلوم على أعيان عصره، ولمّا بلغ السادسة عشر، عينه سيف الدولة واليًا على حَرّان ومنبج. وقع أسيرًا بيد الروم، ولم يفتديه ابن عمّه سيف الدولة، بل تركه ليخرج مع عامّة الأسرى، بعد وشاية بينهما يتهم فيها أبو الطيب المتنبي.[59]

أبو فراس شاعر وجداني خالص يدور شعره بين الفخر والغزل، أنيق العبارة، رقيق الغزل صريح الشعر متينٌ فَخمٌ. عرفت قصائده بالروميات أو الأسريات، لأنه نظمها وهو في أسره، وتتميز بأنها أكثر رِقّةً وأكثر شكوى. من شعره:

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرُ
بلى أنا مشتــاقٌ وعنـــديَ لوعـــةٌ ولكـنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ ســـرُّ
إذا الليلُ أضواني بَسطتُ يدَ الهوى وأذللتُ دمعاً مِن خلائقهُ الكبرُ
تَكادُ تُضِيءُ النّارُ بينَ جَوَانِحِـــي إذا هيَ أذكَتهَا الصّبَابَةُ والفِكرُ
مُعلّلتي بالوَصلِ والموتُ دونـــهُ إذا مِتّ ظَمآناً فَلا نَزَل القَطــرُ[60]

5. بَشارُ بن بُرد، ولِدَ أعمى، ونشأ فقيرًا شِرِّير الطّباع، وبدأ ينظم الشعر وهو صغير يهجو فيه الناس، لقي حظوة في العصر العباسي، وتطاول في شعره على المهدي ووزيره فاتُّهِمَ بالزَّندقة والفُحش، وكان يتهم بالشعوبية والزندقة وكان ناقمًا على الناس. ويُعَدُّ من مخضرمي الدولتين ورأس الشعراء المجددين، من المتفننين بالشعر، يخلط الهزل بالجد، ويتفاوت شعره في الجودة. من شعره في الحِكمة:

إذا كُنتَ فـي كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً صَـديقَكَ لَـم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه
فَـعِش واحِداً أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ مُـفـــــــارِقُ ذَنـبٍ مَـرَّةً وَمُـجانِبُه
إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى ظَـمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه

ومن شعره أيضًا:

يا قَومِ أُذني لِبَعضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ وَالأُذنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا
قالوا بِمَن لا تَرى تَهذي فَقُلتُ لَهُم الأُذنُ كَالعَينِ تُؤتي القَلبَ ما كانا[61]

---

[58] انظر: تاريخ الأدب العربي، فروخ، 2/457-466. الجامع، فاخوري 784-814.
[59] تاريخ الأدب العربي، فروخ، 2/495.
[60] المصدر السابق 2/495-499.
[61] انظر: تاريخ الأدب العربي، فروخ، 2/95-98.

ثانياً: النّثر في الأدب العربي

النثر هو الكلام الذي يجري من غير أوزان ولا قوافٍ. وقد اختلفت سماته وأساليبه وخصائصه وبنيته، وتطورت بتطور عصور الأدب، فالنثر في العصر الجاهلي لم يصلنا ناضجًا مثل الشعر، كما لم يصلنا منه إلا شيءٌ قليل جدًا، ربما لعدم حفظه، ولعدم ضبطه بالوزن كما في الشعر، ولندرة الكتابة في ذاك العصر، وما تجمع لدينا من نثر جاهلي عبارة عن: خُطَب وكُتُب، ووصايا، وأحاديث كُهّان، وحِكَمٌ وأمثال.

ويمتاز النثر الجاهلي على اختلاف أنواعه ببساطة الأفكار ووضوحها، وقِلّة عُمقِها، مع كثير من نصوص الحِكم، لأنها خُلاصة تجاربهم في الحياة، ومرآة عقولهم، كما يغلب على بعض النثر الجاهلي الإيجاز الشديد، والقِصر في الجُمَل، وربما تفككها، بسبب ضعف الروابط، وكان يغلب على النثر السجع والتوازن، وقِلّة العناية بتنميق الكلام، وعدم تسلسل الأفكار، لكن سجع الكهان امتاز بجزالة الألفاظ ومتانة التركيب.

أما في العصر الإسلامي فقد توسع النثر وبات أكثر نضجًا وعمقًا مما عليه في الجاهلية. ويمكن القول إنه امتاز عن نثر الجاهلية بتنوعه حيث شمل أحاديث الرسول وخطبه وخطب الخلفاء الراشدين، وقادة الجيوش، كما تميز بتأثره في أساليب القرآن الكريم، من حيث فصاحة ألفاظه وسهولة تراكيبه وتماسك أفكاره، وترابط معانيه، وبراعة دلالته، وتنوع أساليبه.

أهم أنواع النثر في الأدب العربي

برزت أنواع كثيرة من النثر في الأدب العربي، منها الخطابة والقصة والمقامة والسِّيَر الشّعبية والحِكَم والأمثال. وسأقتصر منها على بيان تطور الخطابة والقصة.

أولاً: تطور الخطابة في الأدب العربي

الخطابة فنٌّ من فنون الأدب عرَفهُ العرب منذ الجاهلية. وتتركب الخطبة من كلمات منتقاة وجمل موزونة ومسجوعة، يلقيها صاحبها على المستمعين.

الخطابة في العصر الجاهلي

امتازت الخطبة الجاهلية بقِصَر الجُمل، وجزالة الألفاظ، وقوة التعبير على الرغم من عدم ترابط الفقرات أحيانًا، وضعف الوحدة الفكرية، لأن الخطبة تتكون من أفكار تدور حول موضوع عام.

وكان للخطيب منزلة مرموقة، وغالبًا ما يكون الخطيب من أشراف القبائل. ومن مهامه: الدفاع عن القبيلة، وتعداد مآثرها، والمفاخرة بحسبها ونسبها، والتعبير عن قراراتها ولسانها الناطق باسمها.

من أشهر خطباء العرب في الجاهلية: كَعب بن لُؤَي، وحاجِب بن زُرارَة، وقَيس بن عاصِم، وقُس بن سَاعِدة الإيادي.

من خُطبة قُس المشهورة: (أيّها الناس، اجتمعوا، ثم اسمعوا وعوا، مَن عاش مات، ومَن ماتَ فات، وكُلّ ما هوَ آتٍ آت، آياتٌ مُحكمات، مَطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ... وليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم حُبِسوا فناموا ...).[62]

الخطابة في العصر الإسلامي:

تطورت الخطابة من الناحية الفنية في العصر الإسلامي، فاتخذ الإسلام من الخطابة وسيلة لنشر الدعوة، ومهاجمة المشركين وبيان فساد عقائدهم. وكان الرسول أول خطباء العصر الإسلامي، ثم تلاه الخلفاء الراشدين، وكانت موضوعات الخطابة في الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين الجديد، واتّسمَت الخطابة في الإسلام بالخطاب الديني، نظرًا لأن الخُطبة من شعائر الدّين، ودخلت المسجد مع دخول الإسلام.

كانت الخُطبة الإسلامية ذات مقدمة وموضوع وخاتمة، والمقدمة تبدأ بالحمدلة، أي: حمد الله تعالى والثناء عليه، ثم الشهادتين والصلاة على رسول الله، ثم يبدأ الخطيب بموضوع خطبته، ويمكن الاستشهاد بالقرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو شعر العرب وأمثالها وأقوالها، ويظهر فيها ارتباط وانسجام الأفكار، وعليه أن يختمها بالحمدلة أيضًا، وسمّيت الخطبة التي تخلو من الحمدلة والتمهيد بالخطبة البتراء.

من خطبة النّبي صلّى عليه وسلم، بعد أن حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه قال:

(يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم، وَجِدَة[63] وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكُم الله بي؟ وعَالةً[64] فأغناكُم الله بي؟ وأعداءً فألّفَ الله بين قلوبكم؟

قالوا: اللهُ ورسولُهُ أمَنُّ وأفضل.

ثم قال: ألا تُجيبوني يا معشر الأنصار؟!

قالوا: بماذا نُجيبُكَ يا رسولَ الله! للهِ ولِرسولِه المنُّ والفَضل.

فقال: أما والله لو شِئتُم لَقُلتُم فَلَصَدَقتُم ولَصَدَّقتُكُم :

أتيتنا مُكَذّبًا فَصدَّقناك، ومَخذولاً فنَصرناك، وطَريدًا فآويناك، وعائِلاً فواسيناك[65]، أَوَجَدتُم عليَّ يا معشر

---

[62] جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت 21.

[63] فيها سخط وغضب.

[64] فقراء.

[65] آسى مواساة، أي جعل الرجل أسوة بغيره.

الأنصار في أنفسكم في لُعاعَة[66] من الدنيا تألَّفت بها قومًا لِيُسلِموا، ووكلتُكُم إلى إسلامِكُم، ألا تَرضَونَ يا مَعشرَ الأنصار أن يذهبَ النّاس بالشّاء والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نَفسُ مُحمَّد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرةُ لَكُنتُ امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شِعبًا ووادِيًا وسلكت الأنصار شِعبًا ووادِيًا لَسلكتُ شِعب الأنصار ووادِيها. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أَخضَلوا لِحاهُم، وقالوا: رَضينا بِرسول الله قَسْمًا وحَظًّا).[67]

الخطابة في العصر الأموي

زادت الحاجة إلى الخطباء لنشر الدين وإعلام الناس بأوامر الخليفة، والقيام بشعائر خطبة الجمعة وخُطَب المناسبات، فزاد على مهام الخطيب تبليغ أوامر الدولة للناس، ولما ظهر التدوين وبرزت الكتابة فنًا تعبيريًا مهمًا في الفكر والثقافة العربية ضعف دور الخطابة، وقلَّت أهميتها نسبيًا واقتصر دورها على مناسبات معينة كالمناسبات الدينية والسياسية.

وقد أثّرت الفتن التي حدثت في العصر الأموي في تطوير الخطابة من الناحية الفنية، وصار كل خطيب يدافع عن سداد رأي فرقته وشيعته، وعادت الحماسة والعصبية إلى أسلوب الخطابة، فازدهرت الخطب السياسية، وصارت أداة فعالة تخدم مصالح السياسيين. من خطباء هذا العصر: المختار الثقفي، وعبدالله بن الزبير وأخوه مصعب بن الزبير، وقطري بن الفجاءة، وزياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي.

من الخطبة البتراء الشهيرة لزياد بن أبيه:

أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضّلالة العَمياء، والغَيَّ الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول. ألم يكن منكم نُهاة تمنع الغواة[68] عن دلج[69] الليل وغارة النهار، قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونه حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا[70] وراءكم كنوسا[71] في مكانس[72] الريب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا... [73]

---

[66] النبات الأخضر قصير الأجل بخس القيمة.
[67] مختارات من أدب العرب، أبو الحسن الندوي 31-32.
[68] جمع غاو، الضال المنقاد للهوى.
[69] السير في الليل.
[70] نصبوا حبالاً بغرض الصيد.
[71] كانس: الظبي. ويراد به النساء.
[72] المخابي ومحال المنكر.
[73] الندوي، مختارات 64-65.

الخطابة في العصر العباسي

تفتح العقل العربي في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وازدادت ثقافته وحضارته ومذاهبه، مما أحدث أغراضًا جديدة في الخطب، منها خُطَبُ الوعظ الديني وخطب الفتوح المتميزة بالنوع القَصصي للحث على الجهاد، ثم ازدهرت خطب الوفود والمبالغات، والرفض والمعارضة، وفي كل ذلك تبرز المراعاة لعقلية الجماهير ومخاطبتهم بما يفهمون، فلا يتعمقون ولا يُعقِّدون الأساليب. ومع هذا كله فإن الخطبة لم تزدهر في العصر العباسي، كما كانت عليه في العصور السابقة، بل ضعفت كثيرًا بسبب ازدهار الكتابة والتدوين، وبروز أنواع أدبية جديدة لفتت اهتمام الأدباء منها: القصة والمقامة والمقالة والمناظرات العلمية والكتب والرسائل.

ثانيًا: تطور القصة في الأدب العربي

لم يكن الأدب العربي خاليًا من القصص النثري، على الرغم من قلته، وبساطة الحياة العربية في الجاهلية وارتباطها بالرمال والصحراء والصيد، فلا تحتاج إلى تعقيدات الحبكة القصصية، لذلك غلب الشعر في تراث تلك المرحلة. وقد أدى دخول الإسلام بفكره الجديد، إلى تطور حياة العرب وخاصة في المدن، فخالطوا الأمم الأخرى، ونقلوا من علومها وآدابها، وترجموا إلى العربية الكثير من المفاهيم الأدبية وغيرها. ويمكن تصنيف ما وصلنا من القصص العربي في ثلاثة أقسام:

1. القصص العربي الخالص الذي يُصَوِّر الحياة العربية بما فيها من بساطة وطرافة، وهي أنواع:
   - قصص الحُبّ كقصص عُروَة وعَفراء، ومجنون ليلى.
   - قصص البطولات والفروسية في الحروب والمعارك.
   - قصص فلسفي مثل قصة حي بن يقظان لابن الطُفَيل، والتوابع والزوابع لابن الشهيد.
   - قصص لُغَوِّي وفُكاهي كمقامات الهمذاني ومقامات الحريري.
   - قصص البخلاء للجاحظ.
   - قصص تأملي كرسالة الغُفران لأبي العلاء المعري.
2. القصص المنقول الذي دخل إلى الأدب العربي، كما فعل بعض كتاب الدواوين، ومعظمهم من أصل فارسي، حيث نقلوا إلى العربية الكثير من الأدب الفارسي، ومن أبدعهم عبدالله ابن المقفع حيث كتب (كليلة ودمنة)، وهو مجموعة قصصية رائعة على ألسنة الحيوانات،

في أسلوب عربي جميل، يرمز إلى الحياة الاجتماعية والسياسية. وصارت جزءًا من الثقافة العربية إذ اللغة هي أبرز ما يميز الحبكة والسرد القصصي فيها.

3. القصص الشعبي ممثلاً في أشهر سِفر سردي عرفه التراث العربي وأكثره تأثيرًا في الأدب العربي الحديث والعالمي، وهو ألف ليلة وليلة التي ترضي الخيال الشعبي، وتعكس أحلامه ورغباته. والزير سالم، وعنترة وعبلة، وسيف بن ذي يزن.

وقد نشر بعض الأدباء في كتبهم الموسوعية قصصًا كثيرة، بعضها متصل بالأمثال والحِكم، كما فعل الميداني صاحب **مجمع الأمثال**، وبعضها متصل بأيام العرب وأحداثها، كما فعل الأصفهاني في**الأغاني**، والبيهقي في**المحاسن والمساويء**،وابن دريد في **حكاياته**. وعلى الرغم من أن معظمها لم يكن قصصًا فنية مكتملة العناصر، إنما هي أخبار وأحاديث تناقلها الرواة أو ألفها أصحابها، وليس فيها من الخيال القصصي المنطلق كما في القصص الحديثة، إلا أنها كانت أقرب إلى أن تسمى حكاية، ولعل أول عمل يصح أن نسميه قصة خالصة فيها الابتكار والخيال هو ما عرف بفن المقامات، وإن كنا نلاحظ أن هدفها الأساسي كان إظهار المقدرة اللغوية وملكة الإحاطة بمفردات العربية وبراعة استعمالها، وإمتاع القارئ وتسليته.

يمكن أن نقول إن تراثنا العربي زاخر بأنواع كثيرة من القصص والحكايات التي تحمل أشكالاً فنية مختلفة عن النماذج التي تشيع في الأدب الغربي ويتخذها بعض النقاد معيارًا لفن القصة.

المصادر والمراجع:

- ابن رشيق القيرواني، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط5 دار لجيل، بيروت 1981.
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1 دار الجيل، بيروت 1986.
- محمود الطناجي، في الأدب واللغة، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002.
- مصطفى صادق الرافعي، ط6 دار الكتاب العربي، بيروت 2001.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ت: عبدالحليم النجار، ط2 دار المعارف، القاهرة 1968.
- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2دار الكتب العلمية، بيروت 1999.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط4 دار العلم للملايين، بيروت 1981.
- أبو الحسن الندوي، مختارات من أدب العرب، ط2 دار الفكر الحديث، بيروت 1965.